الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط
التاريخ : ٢٠ مايو ٢٠٠٠

الحرب الإريترية ـ الإثيوبية شرارتها الأولى بدأت بإصدار أسمرة عملتها والضغوط الأمهرية على أديس أبابا

جدة: سيد أحمد خليفة

في الحرب الدائرة حالياً بين الاريتريين والاثيوبيين ليست منطقة بادمي هي سبب الحرب. ولا يبدو حسم هذه الحرب لصالح الطرفين أمراً ممكناً، كما لا تبدو تدخلات مجلس الامن أو غيره قادرة على وقف هذا الصراع مادام الجميع يتعاطون مع قضية لا يودون الخوض في جذورها العميقة.

صحيح أن الأمر المدهش في هذه الحرب، هو أنها تجري بين طرفين غير متكافئين عددياً، إذ يبلغ عدد سكان اثيوبيا 60 مليوناً وسكان اريتريا ما بين الاربعة إلى الخمسة ملايين، ولكن الصحيح أيضاً أن هذه الحرب تبدو وكأنها تدور بين بعض الاثيوبيين وكل الاريتريين أو غالبيتهم المطلقة، حيث لا يوجد ارتيري واحد يناصر اثيوبيا وإن اختلف بعضهم مع أفورقي سياسيا وتاريخياً، إلا أن هؤلاء لا يقوون على اعتبار أن الاراضي المتنازع عليها اثيوبية.

امبراطورية التناقضات

إن اثيوبيا، الاسم الواحد والتاريخ الواحد والجغرافيا المتداخلة، تحتضن في جوفها وعلى سطحها قدراً كبيراً من المشكلات والتباينات والصراعات القومية التاريخية.

فمن جانب، هناك القومية الصومالية تقاتل منذ زمن شيخها عبد الله حسن الذي واكب عصر المهدي والمهدية في السودان قبل ما يزيد على القرن من الزمان، ومن جانب آخر، هناك الاروموبمسلميهم ومسيحييهم، وهم السكان الاكثر عدداً وانتشاراً في اثيوبيا، ولكنهم ـ أي الاروموـ ظلوا تاريخياً كماً مهملاً إلى أن انطلقت وسطهم حركة ثورة وتمرد في السنوات الاخيرة دعمها الرئيس الصومالي الراحل سياد بري، ثم دعمتها بعده جبهة تحرير التيجراي بقيادة زيناوي،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ومن خلال التيجراي أيضاً دعمت الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا جبهات الارومو التي شارك بعضها في التجمع العريض الذي أسقط نظام منجستو هيلي ماريام.

وهناك الامهرا، وهم الأكثر عدداً بعد الاروميين، ويعوض قلة عددهم تعليمهم وحكمهم لاثيوبيا منذ سقوط مملكة أكسوم في القرن التاسع عشر. وهؤلاء الامهرا، وبعد سقوط دولة منجستو هايلي ماريام ووصول خصومهم التاريخيين التيجراي للسلطة، شكلوا قوة معارضة ومعوقة لاية نجاحات يحاول نظام زيناوي، ذي الانتماء التيجراوي، إحرازها.

إذن، فالقوة التي تحارب منطلقة من اثيوبيا حالياً هي قوات «التيجراي» مع القليل من الجنود الذين جاءوا طلباً للعيش وهم لا يعرفون الا نشاط الحرب والجبهة والاحراش والزي العسكري وتبعاته.

التيجراي هم الذين يقودون الحرب ضد أريتريا، وتعدادهم كقومية حاكمة في اثيوبيا لا يتجاوز الثلاثة ملايين نسمة، بل إن الاريتريين يقولون إن التيجراي لا يزيد عددهم على المليونين في أحسن الاحوال، وكلام الاريتريين عن «التيجراي» يعتبر حديث الخبير العارف بهم والمجاور لهم.

تحالف قديم ينهار

في منتصف السبعينات من القرن الماضي، ووفقاً لمعطيات ذلك الزمن من عمر الصراع الدولي بين القطبين الرأسمالي والشيوعي، برز في اثيوبيا تيار ماركسي قوي وسط المتعلمين وطلاب الجامعات، وكان أبناء القوميات المهضومة الحقوق من جانب الامهرا مثل التيجراي والارومو والاريتريين، هم العنصر الغالب في تكوين تلك المجموعات التي التزمت الخط الماركسي باعتبار أن حكومة الامبراطورية الاثيوبية مرتبطة بالغرب عامة وبأميركا خاصة.

كان العديد من أبناء التيجراي يتقدمون صفوف تلك الحركات اليسارية في اثيوبيا، وكان ملس زيناوي ووزير خارجيته الحالي سيوم مسفين مع نفر من يساريي التيجراي قد شرعوا في تكوين تنظيمهم الخاص بهم بدلاً من العمل في إطار تنظيمات اثيوبية لقوميات اثيوبية أخرى تحس بأنها مظلومة من جانب الامهرا الحاكمين والذين إليهم ينتمي الامبراطور هيلاسيلاسي ومن كانوا قبله ثم جاءوا بعده حتى عهد منجستو هيلي ماريام.

عندما كانت جبهة التيجراي الجديدة والمستقلة تلك تتلمس طريقها للعمل في الداخل والخارج كانت الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا قد بدأت تظهر كقوة اريترية كبيرة وخطيرة عقب انفصالها عن تنظيم قوات التحرير الشعبية الاريترية بقيادة المرحوم عثمان سبي، حيث وجد أفورقي في مجموعة التيجراي عوناً له في مسألتين هامتين أولهما زعزعة وضرب اثيوبيا من داخلها من خلال النشاط في مناطق التيجراي المجاورة لاريتريا والمتوغلة في العمق الاثيوبي.

وثانيهما تحرير جزء من مناطق التيجراي بواسطة جبهتهم الحليفة لافورقي حيث كانت الجبهة الشعبية تعد ملاذا آمنا لجنودها الذين كانوا يشنون حربين في آن واحد، وكانت معركة أفورقي في الحربين تستهدف المستعمر الاثيوبي، كما الجبهات الاريترية الاخرى مثل قوات التحرير الشعبية بقيادة المرحوم سبي، وجبهة التحرير الاريترية الأم بقيادة احمد ناصر وعبد الله ادريس وغيرهم.

كان التحالف الجديد بين التيجراي بقيادة زيناوي الرئيس الحالي لاثيوبيا والجبهة الشعبية الاريترية بقيادة أفورقي قد بلغ مداه ودارت في ظله احاديث عديدة متفائلة عن مستقبل المنطقة حيث صدر آنذاك اقرار من جبهة التيجراي ومن تحالف معها من مجموعات الارومو والعفريين التابعين للسلطان علي مرح بحق الاريتريين في تقرير مصيرهم.

وهو قرار تطور في ما بعد ليصبح اعترافا بحق الاريتريين في الاستقلال والعمل معهم لاسقاط النظام العسكري الاثيوبي بقيادة منجستو هيلي ماريام لانجاز هذا الوعد بعد ان يصل التحالف الاثيوبي بقيادة زيناوي والتيجراي للسلطة.

انهيار إثيوبيا القديمة

بالفعل وبعد نحو خمسة عشر عاما من قيام التحالف الاثيوبي العريض مع الاريتريين والحروب المريرة التي قادت لانهيار حكم منجستو هايلي ماريام في اثيوبيا تحقق استقلال اريتريا وتسلمت جبهة التيجراي السلطة في اثيوبيا من خلال مؤتمر لندن الشهير الذي رعته الولايات المتحدة الأميركية والذي بموجبه منح الامان لمنجستو لكي يخرج ويعيش في زيمبابوي ويدخل مكانه في حكم اثيوبيا، المخصومة منها اريتريا، ملس زيناوي والذين معه من أركان التحالف الذي لعبت الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا دورا كبيرا في بنائه كجبهة، وفي انتصاراته كقوة عسكرية وصموده كدولة بعد انهيار الدولة الاثيوبية بقيادة منجستو المسنودة من القومية الامهرية.

كانت وعود وآمال الجانبين في أريتريا أفورقي واثيوبيا زيناوي كبيرة وبحجم الثقة بين رفقاء سلاح وكذا العقيدة السياسية ـ الماركسية ـ ولكن انهارت وضاعت كل هذه الوعود بمجرد الوصول إلى السلطة سواء في اريتريا أو اثيوبيا.

فمن جانبه لاحظ أفورقي أن الخطط المتفق عليها مع التيجراي أيام التحرير بدأت تتبخر تحت الضغوط الامهرية على زيناوي الذي بدا نادماً ومتراجعاً عن قناعاته الخاصة بالتنازل لاريتريا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

عن كل سواحل البحر الاحمر حيث أصبحت اثيوبيا الدولة الكبيرة في الشرق الافريقي دولة مقفولة وبلا منافذ بحرية، بينما أصبحت أريتريا الدولة الصغيرة صاحبة كل السواحل الطويلة العريضة على البحر الاحمر.

هذا الامر وسع الخلافات والتعقيدات بين التيجراي والقوميات الاثيوبية الاخرى بما فيها تلك التي شاركت التيجراي الحكم وتلك التي عارضتهم، مثل القومية الامهرية التي رفضت الاعتراف باستقلال اريتريا حتى يومنا هذا، وجعلت واحدا من أهدافها استعادة اريتريا لاحضان اثيوبيا الوطن الام كما يقول الامهرا كلهم تقريبا.

من جانبه بدأ افورقي يواجه بعض المشكلات والخلافات الداخلية العميقة سواء داخل الجبهة الشعبية أو من معارضيه في الداخل والخارج حيث بدأ الحديث عن نقصان استقلال اريتريا يتزايد، والمطالبة بالعملة والجواز والخطوط الجوية ومظاهر السيادة الاخرى تتحول إلى ضغوط، بل اصبح هناك من ينتقد الاتفاقات حول ميناء عصب والطرق المؤدية اليه، فضلا عن المطالبة بالاستقلال الاقتصادي الاريتري عن اثيوبيا التي كانت تصدر لاريتريا معظم متطلباتها من المنتجات الزراعية بما فيها البن الذي كانت اريتريا تستورده من اثيوبيا بالعملة المحلية وتعيد تصديره بالعملات الصعبة. وسط هذه الضغوط على الجانبين بدأ زيناوي يتحدث سرا وعلنا عن مفاهيم جديدة لعلاقات البلدين، وبدأ أفورقي يتحدث عن استكمال مظاهر السيادة حيث كان قرار العملة الاريترية والجواز الاريتري من أهم الامور التى أججت نار الخلاف بين الجانبين وبنت فوق تلال العلاقات والثقة القديمة ظلالاً من الشك والريبة والتراجع نحو العداوات.

لقد أراد أفورقي أن يصدر عملته الجديدة وطلب من الحكومة الاثيوبية سحب عملتها واستبدالها بعملة صعبة لاريتريا التي تريد أن تؤسس نظامها البنكي الخاص بها. من جانبها وافقت اثيوبيا على سحب عملتها (البر) لتحل محلها العملة الاريترية (نقفة) ولكن رفضت أن تدفع مقابل البر عملة صعبة.

وكرد على ذلك طلبت الحكومة الاريترية من نظيرتها الاثيوبية أن تدفع الرسوم والجمارك وقيمة خدمات ميناء عصب بالعملة الصعبة، إلا أن اثيوبيا طلبت هي الاخرى دفع قيمة كافة الواردات الاريترية بالعملة الصعبة بما فيها البن.

اثيوبيا أقفلت حدودها مع اريتريا ومنعت استيراد أي شيء .وحدث ذلك في وقت كانت فيه الحدود السودانية - الاريترية تعاني من التوتر وشبه مغلقة أمام أي صادر من السودان إلى اريتريا، خاصة الذرة والسكر. واتجهت اريتريا لليمن، إلا أن نشوب صراع «حنيش» أعاق تطور العلاقة بين البلدين كل هذه المعطيات جعلت اريتريا تطالب هي الاخرى بالمناطق الحدودية مثل بادمي. وحين رفضت اثيوبيا ذلك وشرعت في التحضير للدفاع عن هذه الاراضي أحس أفورقي ان التيجراي سيحاولون من جديد بناء قوة اثيوبية تضم حتى أولئك الذين رفضوا استقلال اريتريا للقيام بعمل ربما يهدد استقلال بلاده ويسعى من خلال وحدة اثيوبية عريضة الى استعادة اريتريا والبحر الاحمر.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية